

الخميس، ٢٣ يونيو، ٢٠٠٥

لم يفاجأ أحد النواب الجدد المنتخب عن دائرة المتن الشمالي بكلام العظة البطريكية يوم الأحد الماضي، والذي تزامن مع آخر مراحل الانتخابات النيابية في محطتها الشمالية. ذلك أن النائب المنتمي إلى أحد التيارات المعارضة كان قد زار الصرح قبلها بيومين، وحين ولج الصالون الكبير بادره البطريرك الماروني مار نصرالله بطرس صفير بالقول: "دعستك قوية!". فاجابه: "هذا بفضل بركتكم سيدنا". ليقاطعه صاحب الغبطة سريعاً بالجزم: "بل بفضل دعم الناس. وهذا طبيعي. فالآخرون اختاروا تهميش أنفسهم، ولم يعوا أن الناس لا يمكن أن يقبلوا بأن يهمشوا. . . . فكان ما كان. . .".

وتشرح أوساط الصرح أن هذا الكلام وما زاد عليه من إشارات بالغة الدلالة في عظة غبطته يوم الأحد الماضي، لم يأت من العدم، بل هو استمرار منطقي لمواقف سيد الصرح السابقة، وانسجام كامل للبطيريك مع ذاته واقتناعه ومواقفه. وتكشف أن خبراء انتخابيين كانوا قد زاروا بركي قبل الاستحقاق الشمالي حاملين الأرقام والإحصاءات والاستطلاعات، وأنهم بينوا لمن يهمه الأمر وبشكل علمي دقيق، أن المواجهة الشمالية ستكون خاسرة لمصلحة لانتحي الحريري، إذا ما تخطى الاقتراع السني في أي من الدائرتين نسبة الأربعين في المئة. وفي المقابل كانت أخبار التعبئة الطائفية ودفق المال السياسي الانتخابي وشراء الأصوات والذمم والضمان، تصل تباعاً، ما جعل فناعة تتكون لدى أوساط الصرح مسبقاً، بالنتيجة التي سجلها يوم ١٩ حزيران الشمالي. وتضيف الأوساط نفسها، أن هذا التوقع المرجح، حمل إلى بركي جدولاً مفصلاً بما سنتهي إليه الانتخابات النيابية اللبنانية، بعد مراحلها الأربع، على الشكل الآتي:

— النواب المسيحيون المنتخبون بأصوات جماعتهم، عددهم ١٥ نائباً، هم نواب دائرتي المتن الشمالي وكسروان — جبيل.

— النواب المسيحيون المنتخبون بأصوات متكافئة بين الجماعات اللبنانية المختلفة، عددهم ٥ نواب، هم المنتخبون في دائرة زحلة وقصبتها.

— النواب المسيحيون المنتخبون بأصوات غير المسيحيين، عددهم ٤٤ نائباً، وهم نواب الدوائر المتبقية الأخرى.

وفي المقابل يفصل الجدول نفسه ما يأتي:

— النواب المسلمون المنتخبون بأصوات جماعتهم، عددهم ٦١ نائباً.

— النواب المسلمون المنتخبون بأصوات متكافئة، عددهم نائبان، والمقصود شاغلا المقعدين السني والشيعي في دائرة زحلة.

— النواب المسلمون المنتخبون بأصوات غير المسلمين، عددهم نائب واحد، وهو المقصود بالمقعد الشيعي في دائرة كسروان — جبيل.

وعليه يتضح أن المسيحيين لم ينتخبوا إلا ما نسبته ٢٣ في المئة من نوابهم، وانتخب الآخرون نحو ٦٩ في المئة من النواب المسيحيين أنفسهم. فيما انتخب المسلمون لوحدهم ٩٥ في المئة من نوابهم، وانتخب لهم المسيحيون ١,٥ في المئة من نوابهم. وظلت نسبة ٥,٥ في المئة من مجموع المجلس النيابي فقط منتخبة بأصوات متكافئة بين المسلمين والمسيحيين.

وأضافت الأوساط نفسها أن هذا الجدول المفصل والمعزز بأرقام الانتخابات في مراحلها السابقة وخصوصاً بتوزيع نتائج المقترعين المسيحيين على الخاسرين كما على الفائزين من نوابهم، أعادت إلى الأذهان لدى الصرح وأهله، مضمون البيان الصادر عن الاجتماع الاستثنائي لمجلس الأساقفة الموارنة في ١١ أيار الماضي، يوم تحدثت بركي عن قانون الألفين "الظالم"، معددة أسباب رفضه الشهيرة، من التذكير بظروف سنه، إلى مناقضة ميثاق الطائف، وصولاً إلى استشراف نتاجه. وأكد يومها صاحب الغبطة وأصحاب السيادة أن الانتخابات التي ستجرى وفق هذا القانون، ستسمح للمسيحيين بانتخاب ١٥ نائباً فقط من النواب الأربعة والستين الذين يشكلون حصتهم في المجلس. وهكذا بدا لبركي أن ما حذرت منه وقع فعلاً، وأن الرقم الذي أرهصت بحصوله، جاءت النتائج المفصلة بالأرقام والمراكز والدوائر، لتفرضه ظلماً على الناخبين المسيحيين.

وتضيف الأوساط نفسها أن بركي لم تنجرّ أبداً إلى خطاب طائفي تحريضي، رغم كل ما قيل وسبق. ففي اليوم التالي للبيان الاستثنائي المذكور، جدّد صاحب الغبطة موقفه، مشيراً إلى أن "اتفاق الطائف" أعطانا ٦٤ نائباً ونريد أن ننتخب ٦٤ نائباً". وتابع موضحاً: "نحن طلاب حقوق نريد أن يتساوى اللبنانيون أمام القانون وهذا ما ينص عليه الدستور. لسنا ضد أحد ونريد أن نعيش مسيحيين ومسلمين على قاعدة التكافؤ، ولن نرضى بتغييب أي فئة من اللبنانيين".

واستناداً إلى هذه الفناعة العميقة، تؤكد الأوساط نفسها، أن بركي فهمت اتجاهات الاقتراع المسيحي في دوائر جبل لبنان. ذلك أنه إثر اعلان نتائج تلك المرحلة، جاء من يشكو لدى الصرح تحالف مسيحيي الجبل مع بعض من كان خارج المعارضة، محذراً من مخاطر ذلك على إنجازات انتفاضة الاستقلال. فكان رد أوساط الصرح، أن ما حصل كان رد فعل طبيعياً على مصادرة من يفترض بهم حلفاء في تلك الانتفاضة، ٢٣ مقعداً نيابياً مسيحياً في بيروت والجنوب وقسم من الجبل، وهو ما جعل المسيحيين يهبون للحفاظ على ما تبقى لهم لا غير. وسألت الأوساط نفسها لو أن هؤلاء الحلفاء أفرجوا عن المقاعد التي سطوا عليها لمرشحيهم، هل كان من ضرير على الوفاق والعيش المشترك أم نفع لهما؟ وهل كان من مبرر حينذاك لرد الفعل المسيحي؟

هذا الواقع، هو تماماً ما حرص سيد الصرح على تأكيده مجدداً وعلناً، فقال في عظته الأخيرة شارحاً "أن فئة من الشعب اللبناني كانت تشعر بأنها مهمشة ومغفية ومقهورة، وأن تصويتها لا قيمة له ولا يعتد به وإن النتائج معروفة قبل أن تجرى الانتخابات، فصوتت هذه المرة بعد زوال الحواجز، لتبرهن أنها موجودة ولا يمكن تهميشها إلى الأبد، وهذه أمثلة يجب أن يستفيد منها المجتمع اللبناني، لكي لا يستهين بأي فئة من فئاته".

غير أن ما كان لافتاً في العظة نفسها تلك الإشارة البالغة الدلالة في كلام صاحب الغبطة من أنه الآن "تساوت المجموعات الطائفية، فأصبح لكل منها زعيمها الذي يستقطب مجمل قواها. . . .". وقد أثارته هذه الإشارة اهتمام الجميع، لناحية معناها الواضح في تكريس بركي للعماد ميشال عون، زعيماً للمسيحيين، يستقطب "مجمل قواهم". ولإيضاح هذا الكلام تشرح الأوساط القريبة من الصرح أن المعادلة بسيطة وواضحة، فهناك أولاً نتائج الاقتراع المسيحي البالغة الدلالة، وهناك ثانياً موقف عون الذي جمع بين خطاب وطني لم يسقط في الفتوية، وبين حرصه على عدالة الحقوق بين مختلف الجماعات، وهو ما جعله مؤيداً لمواقف بركي كافة، ومن دون تحفظ. ولا تنسى أوساط الصرح زيارة الجنرال الصرح البطريركي عشية صدور الموقف الاستثنائي لمجلس المطارنة من قانون الانتخاب، فيما كان الآخرون ممن استظلوا ببركي طويلاً يبتعدون عنها ويحاولون تطويقها من غير مكان.

لكن الأهم في خلفية التكريس البطريركي لزعامه عون، يكمن في الانسجام المستمر لبركي مع نفسها وخطابها. ومرة أخرى تعيد الأوساط نفسها السائلين

Untitled

والمستفسرين الى بيان ١١ أيار الشهر، يوم أعلن صاحب الغبطة والأساقفة الموارنة ان "النواب المسيحيين الذين تأتي بهم كتلة اسلامية، لا يمكنهم أن يمثلوا ناخبهم المسيحيين، بل زعماء لوائهم، وهم مرغمون على تبني مواقفهم، لا مواقف ناخبهم المسيحيين".

وبالتالي فإن انسجام بركي مع موقفها هذا، وتطبيقه على النتائج الانتخابية المسجلة، يفترض الاعتراف ان النواب المسيحيين الذين يمثلون ناخبهم، هم مجموعة الخمسة عشر نائباً الذين بينهم الجدول السابق، وبالتالي، فالحقيقة والموضوعية والأمانة تقتضي الاعتراف بأن الزعامة المسيحية بلا منازع باتت لدى هذه الكتلة. وعند بلوغ هذا الكلام يتذكر السائلون، عبارة أخرى تضمنها بيان ١١ أيار، وكانت مثار ضجة كبرى في حينه: "أعذر من أندر. . .". فأين أصبحت مفاعيلها، وكيف ستتجه الأمور من الآن فصاعداً بين بركي وكتلة "الزعامة المسيحية" وباقي الأطراف، وكيف ستنعكس هذه المواقف على الاستحقاقات المقبلة؟